

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

The Impact of Metonymic Formation in the Poetry of Ziyad Al-A'jam

الاء وعد صبري العكيدي*

alaa.23gep83@student.uomosul.edu.iq

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد*

dr.a.alasad@uomosul.edu.iq

الملخص

في هذه الدراسة آثرنا اختيار الشاعر زياد الأعجم؛ لقلة الدراسات عن الشعر الأموي فهو من شعراء العصر الأموي المغمورين الذين لم ينالوا ما يستحقونه من شهرة واهتمام على الرغم من جمال اشعاره المشحونة بالصور الكنائية، ودلت هذه الدراسة على مكانة شاعرنا الأعجم؛ لأن موهبته الشعرية تضاهي موهبة كبار الشعراء الأمويين كالفرزدق وما يثبت هذه الموهبة عدم هجاء الفرزدق لقبيلة عبد قيس خوفاً من رد شاعرنا الأعجم له وهذا دليل واضح وصريح على قوة ورصانة بُنى الأعجم الشعرية بشكل عام وبشكل خاص في السياق القصدي الهجائي، فضلاً عن بيان بلاغة الصورة الكنائية بشكل عام وبلاغة هذه الصور في بُنى شاعرنا الأعجم ، وأظهرت هذه الدراسة أصول شاعرنا زياد الأعجم العربية ؛ لأن هناك ثمة خلاف ونقاش حول أصله منهم من قال عربي الأصل ومنهم من قال فارسي الأصل.

الكلمات المفتاحية: زياد الأعجم، الصورة الكنائية، أثر.

Abstract

This study selected the poet Ziyad al-A'jam due to the scarcity of research on Umayyad poetry. He represents one of the obscure poets of the Umayyad era who did not receive the recognition and attention they deserved, despite the beauty of their poetry laden with metonymical imagery. This study demonstrates the literary

* جامعة الموصل كلية التربية للبنات

* جامعة الموصل كلية التربية للبنات

standing of our poet al-A'jam, as his poetic talent rivals that of prominent Umayyad poets such as al-Farazdaq. Evidence of this talent is al-Farazdaq's avoidance of satirizing the tribe of Abd Qays out of fear of al-A'jam's poetic retaliation—clear and explicit proof of the strength and sophistication of al-A'jam's poetic structures generally, and particularly within the satirical discourse context . Furthermore, this research elucidates the rhetoric of metonymical imagery in general and the eloquence of such imagery in our poet al-A'jam's structures specifically. The study also clarified the Arab origins of our poet Ziyad al-A'jam, as there exists considerable disagreement and debate regarding his ancestry—some claiming Arab origins while others assert Persian origins. The research reveals al-A'jam's significant contribution to Umayyad literary tradition through his sophisticated use of metonymical devices and his formidable reputation among contemporary poets, establishing his rightful place within the canon of classical Arabic poetry despite historical neglect of his works. Act

Keywords: Ziyad al-A'jam, metaphorical imagery, literary impact.

المقدمة

تُعَدُّ الصورة الكنائية من وسائل التصوير البياني المهمة فهي "ضرب من إخفاء المعاني وتخبئتها وراء روافدها لتحقيق أغراض يقصد إليها المتكلم حيث يترك التصريح بالمعنى الذي يريده ويعمد إلى روافده وتوابعه فيومئ بها إليه"^(١).

والكناية من الصور البلاغية اللطيفة التي لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ومن أسباب بلاغتها توظيف الشعراء لها في ميدان التصوير الأدبي فهي تصوّر المعاني بصورة محسوسة مما يجعلها مشرقة واضحة المعالم دقيقة التعبير والتصوير البياني؛ لأنها تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها، ومما لا شك فيه أن ذكر الشيء يصحبه برهانه أوقع في النفس وأكثر إثباتاً^(٢).

وقد شاعت الكناية قديماً فـ"عرفها القدماء من الشعراء صورة في خيالهم، توضح الفكرة وتزيّن الأسلوب، ولم يعرفوها لوناً بلاغياً محدداً واضح المعالم بين السمات ... وأول من تكلم عن الكناية كلون بلاغي هو

^١ بسيوني عبد الفتاح فيود، من بلاغة النظم القرآني: ص ٣٩١.

^٢ صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص ٦٧. ٦٨.

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة (٢٠٧هـ) وقد فهم منها أنها كل ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة^(١).

فالصورة الكنائية فن بلاغي يقصد بها لـ "وضع كلمة بدل كلمة لإظهار المعنى بألین اللفظ تنزهاً وتقضلاً، أي: هي عدول عما لا يليق إلى ما يليق، وعما يليق إلى ما هو أليق"^(٢).

التعريف بالشاعر وشعره:

اسمه: زياد بن سليمان، مولى عبد القيس، أحد بني عامر بن الحارث، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية، ومنهم من قال: هو زياد بن جابر بن عمرو، مولى عبد قيس^(٣)، كما قيل: من فحول الشعراء زياد ابن سليم العبدي، أو "ابن سلمى العبدي اليماني، أبو أمانة المعروف بزياد الأعجم لعجمة كانت في لسانه"^(٤)، فتعددت الروايات حول اسم أبيه، فهناك ثمة اختلاف حول ذلك، أما كنيته أبو أمانة فمتفق عليها بحسب ماورد في أغلب المصادر^(٥)، أما لقبه فلقب زياد (بالأعجم) ولا خلاف في ذلك، وهناك فرق كبير بين دلالة كلمة الأعجم والعجمي "فالأعجم: الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان عربي النسب كزياد الأعجم ... فأما العجمي: الذي من جنس العجم، أفصح أو لم يفصح، والجمع عجم ...، ورجل أعجمي واعجم إذا كان في لسانه عجمة"^(٦)، ومنهم من قال: لقب (بالأعجم) "لأنه كان يرتضخ لكنة اعجمية يبذل السين شينا والطاء تاء والعين همزة"^(٧).

نسبه: تعددت الآراء حول نسبه، فالمسألة مسألة خلاف ونقاش فمنهم من قال: هو من قبيلة عبد قيس العربية، وكان ينزل اصطخر، وربما يعد ذلك الأرجح والاصح، لوجود الأدلة التي تبرهن على صحة هذا الرأي، فالدليل الأول: ولائه لقبيلة عبد قيس، فعندما همَّ الفرزدق بهجاء عبد قيس، وبلغ ذلك زياداً الأعجم، بعث إليه: لا تعجل حتى أهدي إليك هدية، فانتظر الفرزدق الهدية، فبعث إليه، فلما بلغه الشعر قال: ليس لي الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد^(٨).

^١ محمود السيد شيخون، الأسلوب الكنائي (نشأته تطوره بلاغته): ص ٦. ٧.

^٢ محمد جابر فياض. الكناية: نظم النثر وأثر الحديث النبوي الشريف فيه: ص ٢١.

^٣ أبي الفرج الاصفهاني، الأغاني: ٢٦٠/١٥.

^٤ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٤٧٧/٩.

^٥ الذهبي، سير اعلام النبلاء: ٥٩٧/٤.

^٦ ابن منظور، لسان العرب: ٤ / ٢٨٢٥.

^٧ الشعر في خراسان من الفتح الى نهاية العصر الاموي، د. حسين عطوان: ص ٢٩٤.

^٨ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٤٣١/١، ٤٣٠.

حياته: لم يرد في أغلب المصادر إلا النزر اليسير عن حياة زياد الأعجم، فلم يذكر تاريخ محدد لولادته، غير أنه "من شعراء الدولة الأموية، جزل الشعر، فصيح الألفاظ، كانت في لسانه عجمه فلقب بالأعجم، ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل الى خراسان، فسكنها وطال عمره، ومات فيها، عاصر المهلب بن أبي صفرة وله فيه مدائح ومراث، وكان هجاءً يداريه المهلب ويخشى نقمته، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلانهم، ...ويقال: إنه شهد فتح اصطخر مع أبي موسى الأشعري، وله وفادة على هشام بن عبد الملك، وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب"^(١)، عده ابن سلام من الشعراء الفحول فذكره في كتابه طبقات فحول الشعراء، ووضعه في الطبقة السابعة من الشعراء الإسلاميين والأمويين، ولكن لم يحظ شاعرنا باهتمام من قبل النقاد والباحثين، فلم يكن مشهورا بالرغم من مقدرته الشعرية وسرعته البديهية، وبحسب ما ذكر عن خالد بن عبد الله القسري، فقال هو أسرع الناس بديها، فاشتهر بالهجاء فكان قليل المدح للملوك والوفادة إليهم، فهجى كعبا الأشقري، شقرة بني تميم، كما هجى بني يشكر وجرا وغيرهم...^(٢)، وذكره وأشاد به المؤرخ والاديب الدمشقي شهاب الدين ابن فضل الله العمري، فقال فيه: "زياد الاعجم، زاد فأنجم، وزار المعمة وما أحجم، له وفادة على الخلفاء، وعلا تجل عن الخفاء طالما أوقرت به إبله، وقرت بمواهبه سبله، ولقب بالأعجم وكان أفصح ما كان المسك إذا شهر مع نفسه باشق"^(٣).

لم يحظى شاعرنا بشهرة واسعة فلم يصل إلينا إلا القليل من أشعاره بالرغم من كونه شاعر مرموق، فأغلب أشعاره ضائعة، فقد ورد عن محمد بن حبيب أن من الناس من يروي بعض القصائد للصلتان العبدية، وهذا شاذ، فالصحيح هي لزياد الاعجم^(٤)، أما الأغراض الشعرية التي عرف بها شاعرنا وأبدع فيها المدح والهجاء والرتاء.

وفاته: بحسب ما ذكر في بعض المصادر سقط قلمه في خراسان سنة ١٠٠هـ = ٧١٨ م^(٥)، ومنهم من قال: "توفي زياد في حدود المئة"^(٦).

منهج البحث: وفي هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج البلاغي التحليلي الوصفي في تحليل البنى الشعرية لشاعرنا الأعجم للكشف عن ابعادها الجمالية والتأثيرية في المتلقي.

الدراسات السابقة: لا توجد دراسات سابقة عن شاعرنا الأعجم بحسب ما توصلنا إليه؛ ولهذا السبب جاء اختيارنا له فهو موضوع لم يطرق سوى دراسة نحوية واحدة تقدمت بها الباحثة إيمان سلمان جاسم طالبة

١ الصفيدي، الوافي بالوفيات، ١٦٤/١٤، ١٦٥.

٢ الجمحي، طبقات فحول الشعراء: ٢/٦٩٣-٦٩٤.

٣ شهاب الدين ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ١٤/٢٠٦-٢٠٨.

٤ الاصفهاني، الأغاني: ١٥/٢٦١.

٥. الزركلي، الاعلام: ٣/٥٤.

٦. الحموي، معجم الادباء إرشاد الأريب الى معرفة الاديب: ٣/١٣٣٠.

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

الماجستير في جامعة كربلاء والموسومة بـ (بناء الجملة الفعلية في شعر زياد الأعجم)، وهذه الدراسة التي تقدمت بها الباحثة بعيدة كل البعد عن مجال دراستنا.

أهمية البحث: جاء هذا البحث لـ إثراء الدراسات البلاغية والأدبية عن طريق بيان بلاغة الصورة الكنائية بشكل عام وفي الخطاب الشعري بشكل خاص فضلاً عن بيان مكانة الشعر الأموي وتسلط الضوء على أهم شعرائه المغمورين محاولة منا لـ إنصافهم.

بلاغة الصورة الكنائية

تُعد الكناية أسلوباً بلاغياً بليغاً فهي صورة من صور البيان، ونتاج طبيعي لمَلَكَةِ الخيال على الرغم من تنوع أنماطها وأشكالها، والمقامات التي تستدعيها وتتطلبها، فمن بلاغة التعبير بالصورة الكنائية: إنتاج دلالتها الثنائية لمعنيين، أحدهما ظاهر، والآخر عميق، وهما يجوز إرادتهما في نفس الوقت، ويحقق ذلك اتساق النص مع باقي الصور التقريرية والمجازية في آن واحد^(١).

إن أهم ما يميز التعبير بالصورة الكنائية "التعبير عما يجول في النفوس من خواطر ومعانٍ، قد يكون التصريح بألفاظها الأصلية مما يخدش الحياء، أو يجرح العفاف، هو الطريقة المثلى، والضرب الأولى بالإتباع"^(٢).

ومن جماليات الصورة الكنائية وبلاغتها عند علماء البلاغة القدامى تظهر بوصفها أسلوباً فنياً غير مباشر، قد يؤدي معناه بلفظه الصريح أو يؤدي معنى ثانٍ يرتبط بالمعنى الأول ويلزمه وفي هذا إثارة للذهن؛ لأن الوصول للمعنى المكنى عنه يتم بوسائط وفي ضوء هذه الوسائط قربها أو بعدها خفاؤها أو جلاؤها يتحدد مقدار بلاغة وجمال تلك الصورة الكنائية^(٣).

الكناية لغة: هي "أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ غَيْرَهُ وَكُنَى عَنِ الْأَمْرِ بِغَيْرِهِ يَكْنِي كِنَايَةً: يَغْنِي إِذَا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ"^(٤)، فـ "الكَافُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى تَوْرِيَةٍ عَنِ اسْمٍ بِغَيْرِهِ. يُقَالُ: كَنَيْتُ عَنْ كَذَا، إِذَا تَكَلَّمْتُ بِغَيْرِهِ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ"^(٥).

الكناية اصطلاحاً: الكناية اصطلاح هي "لفظ أُريدَ به لازمٌ معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: فلانٌ طويلُ النَّجادِ أي: طويلُ القامة، وفلانة نؤوم الضحى أي مرفهة مخدومة"^(٦).

١ . بشير كحيل، الكناية في البلاغة: ص ٣٥٣. ٣٥٤.

٢ . محمود شاكر القطان، الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية: ص ٤٦.

٣ . أحمد فتحي رمضان الحياتي، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص ٦٦.

٤ . لسان العرب: ٢٣٣/١٥.

٥ . ابن فارس، مقاييس اللغة: ١٣٩/٥، (مادة كنى).

٦ . القزويني، الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ص ٢٤١.

أقسام الصورة الكنائية:

تقسم الصورة الكنائية باعتبار المكني عنه إلى ثلاثة أقسام:

أولها: الكناية عن صفة وفيها يكون المكني عنه صفة نحو: (طويل النَّجَادِ رفيعُ العِمَادِ)، كناية عن طول قامته، ثانيها: الكناية عن موصوف وفيها يكون المكني عنه غير صفة ولا نسبة مثل: (والطاعنين مجامع الأضغان)، فكنى بمجامع الأضغان عن القلوب^(١)، أما ثالثها الكناية عن نسبة وفيها يكون المكني عنه نسبة، نحو: (المجد بين ثوبيه)، كناية عن نسبة المجد إليه.

ويمكن تقسيم الصورة الكنائية الدالة على الصفات في شعر زياد الأعجم وفقاً لـ أبرز الصفات الجامعة لها والمُعبرة عنها إلى (الشجاعة، والكرم، والبخل، الذل والمهانة، كثرة القتل، الدم، الغدر) وسنستعرض أبرزها؛ لنستكشف دلالاتها العميقة ونحللها تحليلاً بلاغياً وصفيّاً.

الكناية عن صفة الكرم:

ومن شواهد الصورة الكنائية الملهمة بصفة الكرم عند زياد الأعجم، قوله: [من الكامل]

لِلْمُعْتَفِينَ يَمِيْنُهُ لَمْ تَشْنَجْ	مَلِكٌ أَغْرَ مُتَوَجِّجٌ ذُو نَائِلٍ
بعد النبي المصطفى المتحرِّج	يا خير من صعد المنابر بالتقى
أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ (٢)	لما أتيتك راجياً لنَوَالِكُمْ

في بنية هذا الخطاب الشعري انبجست معالم الصورة الكنائية الدالة على سمة الكرم، إذ عبّر زياد الأعجم عن كرم عبد الله بن الحشر بصورة متجددة وموحية تفيض بأطياف جديدة من المعاني، إذ رسم زياد الأعجم صورة عبد الله بن الحشر* في هيئة ملك مهاب مكلل بالمجد والعطاء الذي لا ينضب فهو يبسط يمينه للمحتاجين بسخاء دون تردد.

ويحرص شاعرنا على تزويق صورة الممدوح (عبد الله بن الحشر) عبر إضفاء مسحة دينية على خطابه الشعري، فيرفع من شأن ممدوحه ويصفه بأسمى وأعظم الصفات البشرية فيجعله خير من اعتلى المنابر بعد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لا لحسن خطابه وبلاغته فقط، بل لما تحلى به من تقوى وورع وصدق وتطبيق لتعاليم الدين الإسلامي مستنيراً بأنوار الهداية النبوية؛ ولذلك لا يردّ سائله خائباً ولا يغادر بابه محتاج إلا وقد نال مبتغاه.

١ . حفني ناصف، محمد دياب وآخرون دروس البلاغة: ص ١٠٠. ١٠١.

٢ . يوسف حسين البكار، شعر زياد الأعجم: ص ٤٩.

* عبد الله بن الحشر: هو "سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولي أكثر أعمال خراسان، ومن أعمال فارس وكرمان، وكان جواداً"، الأغاني: ١٧/١٢.

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

وتكونت الصورة الكنائية المفصحة عن الصفة لدى زياد الأعجم في هذا الخطاب الشعري من اللفظ المكنى به (ذو نائل للمعتقين يمينه لم تشنج) وتُعبّر البنية السطحية لهذا الخطاب عن العطايا، بينما تشير البنية العميقة للخطاب إلى الكرم (كرم عبد الله بن الحشرج) المتدفق والدائم والذي لا يزول مع مرور الأيام. ومن بلاغة الصورة الكنائية المفصحة عن صفة الكرم عند زياد الأعجم في بنية هذا الخطاب الشعري تصوير السمة ذات التشكيل العقلي (الكرم) بسمّة ذات تشكيل حسي (يمينه لم تشنج) ؛ لأن من مزايا التعبير بالصورة الكنائية الحسية في هذا الخطاب إبراز المعاني وتجسيدها في صورة محسوسة تزخر بالحركة والحياة ، فازدانت هذه الصورة الكنائية بهذه الخاصية تعريفاً ووضوحاً ورسوخاً في النفس وتأكيداً ؛ لأن للأمور الحسية علوق بالنفوس وتأثير فيها^(١)، وأفادت هذه الصورة الكنائية في التعبير عن مدح عبد الله بن الحشرج بصورة تزخر بالكرم والعطاء.

وفي صورة كنائية مستحدثة وظّف فيها زياد الأعجم (الضيف) لتصوير صفة (البخل)، قوله: [من المتقارب]

وَأُصَدِّقُهَا الْكَاذِبُ الْآثِمُ

وإن لم يكن صائماً صائماً^(٢).

قُبَيْلَةُ خَيْرُهَا شَرُّهَا

وَضَيْفُهُمْ وَسَطُ أَبِيائِهِمْ

لقد مثلت هذه البنى الشعرية لزياد الأعجم صورة كنائية غير تقليدية مجسدة لصفة البخل، إذ سخرت الذات الشاعرة من قبيلة كعب الأشقرى فنفت الذات وجود أي فرد من أفراد القبيلة أتسم بالصدق أو فعل الخير، ولم تكتفِ بهذه السمات، فصوّرت ضيفهم وسط أبياتهم يفنّد إلى الضيافة التي عرفتها وتوارثتها القبائل العربية الأخرى، إذ صوّرت الذات ضيفهم بالصائم وإن لم يكن صائماً في كناية عن بخلهم.

وفي هذه البنى الشعرية استوحى زياد الأعجم صورته الكنائية من مخزون التراث العربي المتوارث (إكرام الضيف) ، فتجلّت صورة (الضيف) وهو يعاني من الجوع والعطش وسط أبياتهم، وأفادت هذه الصورة سياق (الهجاء)، إذ وظّفت الذات الشاعرة (الضيف) في سياق مختلف عن بعض الشعراء الذين وظّفوها في سياق (المدح) ، بينما جلب شاعرنا هذا الدال (الضيف) ؛لتصوير البخل الشديد الذي تتسم به قبيلة كعب الأشقرى، فعبر شاعرنا مستهكماً على قبيلة هذه القبيلة بالاعتماد على الصورة الكنائية المجسدة لصفة البخل، فضلاً عن تنغيمة لهذه البنى الشعرية بالتضاد بين (خيرها ، شرها) و(الصادق ، الكاذب) و(صائم ، لم يكن صائماً)؛ لأن التضاد منح هذه البنى جمالية وموسيقى داخلية ، مما أضفى على هذه الصورة الكنائية المرسومة أثراً وعمقاً دلاليّاً وجماليّاً.

^١ عبد العزيز بن صالح، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية:ص ١٤١.

^٢ شعر زياد الأعجم:ص ٩٨.

ومن بلاغة هذه البُنى الشعرية لزياد الأعجم ارتكازها على الصورة الكنائية الدالة على صفة البخل، فعبّر شاعرنا بالصورة ذات التشكيل الحسي (الضيف) لتجسيد صورة ذات تشكيل عقلي (البخل)، فجسدت الذات الشاعرة ضيفهم المفقر للضيافة، فهو كالأصائم في دلالة على بخلهم، واستعمل شاعرنا الأعجم هذه الصورة الكنائية؛ لأنها تساهم في تكثيف الدلالة القصديّة فاستعمال هذه الصورة قوام الاختصار ولذلك أسهب الشعراء في استعمالها^(١).

ويمكن تقسيم الصورة الكنائية الدالة على الموصوف في شعر زياد الأعجم وفقاً لما كنى عنه إلى (الكناية عن الخوارج والمارقين)، (الكناية عن السيف)، (الكناية عن عباد بن الحصين)، (الكناية عن الحرب)، (الكناية عن قبيلة بني يشكر)، (الكناية عن الخمر)، (الكناية عن قبيلة بني حنّاء) وسنستعرض أبرز هذه الصور الكنائية؛ لنستكشف ما تحمله من دلالة على الموصوف ونحللها تحليلًا بلاغيًا.

الكناية عن السيف:

ومن الصور الكنائية المُعبّرة عن الموصوف (السيف) عند شاعرنا الأعجم قوله: [من الكامل]

وَإِذَا الضَّرْبُ عَنِ الطَّعَانِ بَدَأَ لَهُمْ ضَرَبُوا بِمُرْهَفَةِ الصُّدُورِ جَوَارِحَ^(٢).

اتخذ هذا الخطاب الشعري لزياد الأعجم الصورة الكنائية الدالة على الموصوف لتقديم مشهد حزين في رثاء المغيرة بن المهلب، مما زاد هذا الخطاب إقناعاً وألقاً وجمالاً، إذ عبّر شاعرنا عن السيف بصورة غير مباشرة فبدأ عتبة خطابه بالبدال اللغوي (إذا) وهو حرف شرط يفيد التحقيق وظفته الذات الشاعرة لزيادة الطاقة الحجاجية الدالة على شجاعة المهلب وجنده فهم إذا تعرضوا للطعن بالسيف لا يتوقفون بل يردون وبشكل أقوى فيضربون بالسيف العدو حتى يطعنوه ويمزقوه تمزيقاً.

وتغشى هذا الخطاب الشعري لزياد الأعجم بالصورة الكنائية الدالة على السيف، وتحتوي هذه الصورة على بنيتين الأولى: سطحية (مرهفة الصدور) بينما تشير البنية العميقة لهذا الخطاب إلى (السيف) وهذا الشعري كناية عن الشجاعة والإقدام أيضاً التي تحلّى بها المغيرة بن المهلب وجنده وعدم ترددهم في خوض غمار المعارك والتقدم فيها.

ومن بلاغة هذا الخطاب لزياد الأعجم تصوّر شجاعة المهلب وجنده بوساطة الصورة الكنائية الدالة على الموصوف (السيف) فصور شاعرنا الأعجم (السيف) الشيء المادي غير الحي بشيء مادي حي (الكائن الجارح) كالصقور أو النسور للدلالة على صفات ذات طابع معنوي مثل القوة والشجاعة والإقدام الصفات التي اتصف بها المهلب وجنده، وبالغ شاعرنا في وصف الموصوف (السيف) وعبر عن ذلك بالصورة الكنائية؛ لأنها أبلغ وأكد ومن وظائفها المبالغة في الدلالة على لازم المعاني التي قصدها شاعرنا الأعجم

^١ مختار عطية الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية): ص ٢٥٢.

^٢ شعر زياد الأعجم: ص ٥٨.

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

تصوير شدة حدة السيف في هذا الخطاب الشعري^(١)، وأفادت هذه الصورة الكنائية الدالة على الموصوف (السيف) في بنية هذا الخطاب الشعري السياق القصدي الرثائي رثاء (المغيرة بن المهلب) الذي أستحوذ على اهتمام شاعرنا الأعجم.

الكناية عن قبيلة بني يشكر:

ومن الصور الكنائية الدالة على الموصوف (قبيلة بني يشكر) التي ذم فيها شاعرنا الأعجم نسب تلك القبيلة الأعجمي، في قوله: [من الطويل]

إذا ما رأيت الخَزَّ فوق ظهورهم عَرَفْتُ نِجَارَ اللُّؤْمِ تحت المطارفِ^(٢).

تتوارى دلالة هذه البنى الشعرية لزياد الأعجم وراء الصورة الكنائية ذات التشكيل الحسي، إذ عبرت الذات الشاعرة عن الموصوف (قبيلة بني يشكر) مَصَوْرَه صفاتهم القبيحة وانحطاطهم الظاهر للعيان بمجرد النظر لملابسهم المصنوعة من الحرير الدالة على أصلهم الأعجمي وطباعهم الدميمة البعيدة كل البعد عن الطابع العربية الأصيلة.

ولقد شكَّلت هذه البنى الشعرية لزياد الأعجم صورة كنائية مؤلفة من الدال: (إذا ما رأيت الخز فوق ظهورهم) وتشير البنية السطحية لهذا الخطاب: إلى الترف الذي يتمتعون به البارز من ملابسهم الناعمة المصنوعة من الحرير، بينما تختفي البنية العميقة لهذا الخطاب خلف الصورة الكنائية الدالة على الموصوف (قبيلة يشكر) والمشييرة إلى: نسبهم الأعجمي وطباعهم الدنيئة وصفاتهم المستقبحة.

ومن بلاغة هذه البنى الشعرية لزياد الأعجم تصوير الموصوف (قبيلة بني يشكر) بصورة واقعية مرئية ؛ لأن من بلاغة هذه الصورة الكنائية القدرة على تقديم المعاني مقرنة بألفاظها مما يكسب الخطاب الشعري الانسجام بالتتام اللغة والفكر في إطار موحد ينهض بسبر النص وتحديده ، فالصورة الكنائية أداة شاعرنا الأعجم المهمة ولا يستطيع الاستغناء عنها في عرض الفكرة والمضمون عبر المعاني ، فعبر عن الحقيقة مضفياً عليها طابع المبالغة والخيال^(٣)، ويتجلى ذلك عند وصف ملابسهم المصنوعة من الحرير الدالة عليهم وعلى نسبهم غير العربي وطباعهم المستقبحة المشار لها سابقاً.

ومن أبرز شواهد الصورة الكنائية التي تدل على النسبة عند شاعرنا الأعجم.

الكناية عن نسبة الجزاء للموصوف:

في هذه البنى الشعرية لشاعرنا الأعجم نجد أول الصور الكنائية الدالة على نسبة صفة (الجزاء) للموصوف (المهلب بن أبي صفرة)، في قوله: [من الطويل]

١ . عالي سرحان القرشي المبالغة في البلاغة العربية تاريخها وصورها: ص ٢٠٥.

٢ . شعر زياد الأعجم: ص ٨٤.

٣ . صباح عباس عنوز الصورة الفنية بين حسيته وإيحاء المعنى (دراسة نقدية تطبيقية): ص ١٠٣.

جزى الله خيراً، والجزاء بكفه، أبا الأزد عنا ما أدب وأحرباً^(١).

تولدت هذه الصورة الكنائية الموحية بالنسبة من خطاب الأعجم الشعري فينسب لموصوفه (المهلب بن أبي صفرة) العطاء والكرم المتدفق الذي لا يفنى، فيدعو شاعرنا للمهلب بن أبي صفرة بأن يكافئه الله تعالى على إحسانه، ولا يكتفي شاعرنا بهذا الوصف فيبرز شاعرنا نسب المهلب بن أبي صفرة العائد للقبيلة المشهورة المعروفة بالجود والكرم والشجاعة، فهو مدافع عن أرضه وقبيلته ويشارك في الحرب. وتكونت الصورة الكنائية المعبرة عن النسبة في خطاب الأعجم الشعري من الدال اللغوي المكني منه: الجزاء بكفه، ويشير هذا الدال اللغوي إلى بنية سطحية: اقتصار الجود والعطاء على كف المهلب بن أبي صفرة فقط، أما البنية العميقة لهذا الخطاب فتشير إلى الكرم والجود والعطاء المستمر والذود عن الأرض والقبيلة ومحاربة الأعداء.

ومن بلاغة هذه البنى الشعرية المشكلة للصورة الكنائية الدالة على النسبة لشاعرنا الأعجم نسبة الصفات (الكرم، والجود، والشجاعة) للموصوف (المهلب بن أبي صفرة) والفخر بنسبه العائد لأشهر القبائل العربية الأصلية، فضلاً عن تجسيد شاعرنا الأعجم للصورة العقلية (العطاء والكرم) بصورة حسية ملموسة (الجزاء بكفه)، ف"الكناية من أطف أساليب البلاغة وأدقها ؛ لأن فيها الانتقال من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء مصحوباً بالدلالة عليه ، مع ما فيها من الإيجاز وتجسيد المعاني المعقولة في صورة المحس^(٢)، وتألفت هذه الصورة الكنائية من معنى حقيقي ومعنى انزياحي والتوليف بينهما يأتي بمعنى ثالث يحمل دلالة عميقة ، وهنا تتجلى بؤرة الجمال لأسلوب التصوير الكنائي في هذا الخطاب الشعري الذي رسم لنا معالم صورته الكنائية البليغة والمؤثرة شاعرنا الأعجم^(٣)، فضلاً عن توظيف الأعجم لأسلوب التضاد بين (أدب - أحرباً) ليزيد من أثر وجمالية خطابه الشعري.

الكناية عن نسبة السماحة والمروءة والندى للموصوف:

وفي صورة كنائية أخرى دالة على النسبة في خطاب شاعرنا الأعجم الشعري، قوله: [من الكامل]

إِنَّ السَّامَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قَبَةِ ضُرَيْتٍ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ^(٤).

تحلت هذه البنى الشعرية للأعجم بالصورة الكنائية الدالة على النسبة، إذ نسبت الذات الشاعرة جميع هذه الصفات (السماحة، المروءة، الندى) لموصوفها (عبد الله بن الحشرج) فتعبر الذات عن مكانة ممدوحها الرفيعة فتصفه بالفضائل الإنسانية من طيبة وشهامة وكرم وجود وتصح الذات في بنية خطابها الشعري

١ شعر زياد الأعجم: ص ٤٦.

٢ عبد القادر محمد المعتصم دهمان مجاري الكناية (في اللغة وعلم البيان والتفسير والفقه وأصوله): ص ٤٩.

٣ مازن موفق الخيرو جماليات الصورة الفنية في صحيح البخاري (دراسة أسلوبية): ص ٧٨.

٤ شعر زياد الأعجم: ص ٤٩.

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

هذا عن تأكيدها لنسبة هذه الصفات فيوظف الدال اللغوي (إن) وتحيط الذات بهذه الصفات فتجعلها مقتصرة على موصوفها (عبد الله بن حشرج).

وتألفت الصورة الكنائية الدالة على النسبة في هذا الخطاب الشعري لشاعرنا الأعجم من الدال اللغوي المكني منه: السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت، ومن المكني عنه: نسبة هذه الصفات للموصوف (عبد الله بن حشرج) وتعبّر البنية السطحية لهذا الخطاب الشعري عن نسبة السماحة والمروءة والندى لعبد الله بن حشرج بينما تكشف البنية العميقة لهذا الخطاب عن نسبة هذه الصفات (السماحة والمروءة والندى) وربطها بالموصوف والتعبير عن ذلك بصورة كنائية مبتكرة مغمورة بالخيال.

وتسمو هذه الصورة الكنائية الدالة على النسبة ببلاغتها الكامنة في بنية هذا الخطاب الشعري لشاعرنا الأعجم، فمن أبرز ما اتسمت به الصورة الكنائية من جماليات وأثر بياني وفني في هذا الخطاب المبالغة في وصف الممدوح (عبد الله بن حشرج) والتأكيد على نسبة الصفات من طيبة وشهامة وكرم وجود وربطها بابن الحشرج. وجعلها متأصلة فيه لا تبرح عنه، فأراد شاعرنا الأعجم تخصيص هذه الصفات وإثباتها للموصوف بجعلها مضروبة عليه، لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين، فأثبت تلك الصفات الواردة بوساطة الصورة الكنائية، وهذه الصفات اتصف بها الممدوح (ابن الحشرج) ونسبتها الذات الشاعرة إليه عن طريق نسبتها إلى قبته، وهذه الصورة الكنائية كناية عن نسبة^(١)، وظف فيها شاعرنا الأعجم الدال اللغوي (قبة)؛ لإثبات هذه الصفات فـ "القُبَّة المضروبة عليه، عبارة عن كونها فيه، وإشارةً إليه، فخرَجَ كلامه بذلك إلى ما خَرَجَ إليه من الجزالة، وظهرَ فيه ما أنت ترى من الفخامة، ولو أنه أسَقَطَ هذه الواسطة من البين، لما كان إلا كلاماً غُفلاً، وحديثاً سادجاً"^(٢).

١ أحمد مطلوب، د. حسن البصير البلاغة والتطبيق: ص ٣٧٣.

٢ الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٣٠٧.

الخاتمة

- أثبتت هذه الدراسة أصول زياد الأعجم العائدة للعربية وفقاً للأدلة الواردة، وأبرز دليل على ذلك قوله: (العمرُ ما الديباج خَرَقَتْ وَحدَهُ * وَلَكِنَّمَا خَرَقَتْ جِلْدَ المَهْلَبِ).

- إمكانية شاعرنا (زياد الأعجم) الشعرية تباري إمكانية جهابذة شعراء عصره كالفرزدق وربما يتفوق عليهم؛ لأن الفرزدق كان يتحاشى مهاجمة قبيلة عبد قيس خوفاً من زياد الأعجم، وشاهد ذلك قول الأعجم في هجاء الفرزدق: (وَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِن هَجَوْتُنَا * لَكَالْبَحْرِ، مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ).

- تُعد الصورة الكنائية من الركائز الأساسية التي اعتمد عليها شاعرنا الأعجم في تلوين خطابه الشعري، ومن ذلك الصورة الكنائية الشهيرة التي صاغها في مدح عبد الله بن الحشر: (إِن السَّمَاحَةَ المَرْوَةَ وَالنَدَى * فِي قَبَةِ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِ).

- من مظاهر إبداع شاعرنا الأعجم توظيفه للصور الحسية أكثر من المعنوية؛ لتقريب الأفكار والاحاسيس وجعلها أكثر وضوحاً، فضلاً عن التشخيص وهذا مما أثرى خطابه الشعري وجعله أكثر جمالاً وإقناعاً ورونقاً، ذلك في البيت الشعري الآتي: (وَإِذَا الضَّرَابُ عَنِ الطَّعَانِ بَدَأَ لَهُمْ * ضَرْبُوا بِمَرْهَقَةِ الصُّدُورِ جَوَارِحَ).

- اتسمت الصور الكنائية الدالة على الصفة في بُنى الأعجم الشعرية بحضور الثنائيات الضدية بشكل كبير كالشجاعة والهوان والكرم والبخل والاصل الطيب وسوء الأصل، ودليل هذا الصورة التي ابتكرها في الكرم: (وَأَرَى الصَّعَالِكَ بِالمَغِيرَةِ أَصْبَحَتْ * تَبْكِي عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ مُسَامِحَ) وتقابل هذه الصورة الصورة التي نسجها في البخل: (تَوَاصَوْا بِذَبْحِ الْكَلْبِ إِنْ جَرَّ صَوْتُهُ * لَهُمْ طَارِقاً، وَالرَّيْحُ نَكْبَاءُ صَرَصَرُ).

- شكّل زياد الأعجم الصورة الكنائية الدالة على الموصوف في مواضع محدودة لكنها جاءت مكثفة؛ لأنه لجأ في تصوير الموصوف إلى الصفات التي يحملها ومنح هذا خطابه الشعري القوة والبلاغة والتأثير، ويبرز ذلك في وصفه لبني يشكر وذلك في قوله: (إِذَا مَا رَأَيْتَ الْخَزَّ فَوْقَ ظُهُورِهِمْ * عَرَفْتَ نَجَارَ اللُّؤْمِ تَحْتَ الْمَطَارِفِ).

- لقد وردت الصورة الكنائية بجميع تشكيلاتها في شعر زياد الأعجم في ستة وأربعين موضعاً.

قائمة المصادر والمراجع:

١. مقاييس اللغة، لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، ١٩٧٩ م.
٢. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط ٢، ١٩٨٢ م.
٣. لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط ١، (د.ت).

أثر التشكيل الكنائي في شعر زياد الأعجم

الاء وعد صبري العكيدي

أ.د. عدنان عبد السلام الأسعد

٤. الأغاني، لابي الفرج الاصفهاني(٣٥٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، الأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت. لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
٥. الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، لأحمد فتحي رمضان الحياي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان. الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
٦. من بلاغة النظم القرآني، لبيسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة. مصر، ط١، ١٩٩٢م.
٧. الكناية في البلاغة، لبشير مكحول، مكتبة الآداب، القاهرة. مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
٨. دلائل الإعجاز، لالجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، (د.ط)، (د.ت).
٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ط٣، ١٩٩٤م.
١٠. الشعر في خراسان من الفتح الى نهاية العصر الاموي، لحسين عطوان، دار الجيل، بيروت. لبنان، ط٢، ١٩٨٩م.
١١. دروس البلاغة، لحفني ناصف، محمد دياب وآخرون، دار ابن حزم، بيروت. لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
١٢. سير اعلام النبلاء، للذهبي(٧٤٨هـ)، تحقيق مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ط١، ١٩٨١م.
١٣. الاعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط٧، ١٩٨٦م.
١٤. مسالك الابصار في ممالك الامصار، لشهاب الدين ابن فضل الله العمري، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
١٥. الصورة الفنية بين حسيته وإيحاء المعنى (دراسة نقدية تطبيقية)، لصباح عباس عنوز، دار السلام، بيروت. لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
١٦. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، دار أحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
١٧. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، لصلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان، الجيزة. مصر، ط١، ١٩٩٥م.
١٨. المبالغة في البلاغة العربية تاريخها وصورها، لعالي سرحان القرشي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف، السعودية، ط١، ١٩٨٥م.
١٩. التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، لعبد العزيز بن صالح العمار، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي. الامارات، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٠. مجاري الكناية (في اللغة وعلم البيان والتفسير والفقه وأصوله)، لعبد القادر محمد المعتصم دهمان، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، المنصورة. مصر، ط١، ٢٠٢٣م.

٢١. الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، دار الكتب العلمية، للقرظینی، بیروت . لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٢. جمالیات الصورة الفنية فی صحیح البخاری (دراسة أسلوبیة)، لمانز موفق الخیرو، جائزة دبي الدولية للقرآن الکریم، دبي . الامارات، ط١، ٢٠١٤م.
٢٣. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاکر، مطبعة المدني، جده . السعودية، (د.ط)، ١٩٧٤م.
٢٤. الکناية نظم النثر وأثر الحديث النبوي الشريف فيه دار المنارة للنشر والتوزيع، لمحمد جابر فیاض، جدة . السعودية، ط١، ١٩٨٩م.
٢٥. الأسلوب الکنائي (نشأته تطوره بلاغته)، لمحمود السيد شیخون، مكتبة الکليات الازهریة، القاهرة . مصر، ط١، ١٩٧٨م.
٢٦. الکناية مفهوما وقيمتها البلاغیة، لمحمود شاکر القطان، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم . مصر، (د.ط)، ١٩٩٢م.
٢٧. الإيجاز فی کلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغیة)، لمختار عطیة، دار المعرفة الجامعیة، الإسکندریة . مصر، (د. ط)، (د.ت).
٢٨. البلاغة والتطبیق، لاحمد مطلوب، وزارة التعلیم العالی والبحث العلمی، العراق، ط٢، ١٩٩٩م.
٢٩. معجم الادباء إرشاد الأریب الی معرفة الادیب، لیاقوت الحموي الرومي، تحقیق إحسان عباس، دار العرب الإسلامی، بیروت . لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
٣٠. شعر زیاد الاعجم، لیوسف حسین بکار، دار المسیره، عمان . الأردن، ط١، ١٩٨٣م.